ـــ حتى يعيش .

ـــ هذا هو سري الذي لم يمت بموته .

وكان الفجر قد طلع . - - - - - - - - - - - -

[٩]

عودة يعاد الى البيت القديم

بدأت الامور تختلط في عقلي عن يعاد حين بدأنا بتناول طعام الافطار ، فولا مخلوطا بالحمص ، في مطعم في العفولة . فاستغربت يعاد ان يتقن اليهود ، القادمون من أوروبا ، هذا الفولكلور العربي . فقلت لها : بل قادمون من بلاد العرب ولم يتغير عليهم شيء حتى ولا الشتيمة ـــ يشتمون ويُشتمون بلغة الضاد .

ضحكت يعاد وشتمتني تحببا . قلت : هل تشتم البنت والدها ؟ قالت : بل أنت عمي وفارس احلامي منذ الصغر .

قلت : والذي حولني ، بين ليلة وضحاها ، من أبيك الى عمك ، سيعيد اليك ذاكرتك الليلة . فهيا الى حيفا نوصل ما انقطع .

وفي السيارة ، التي حملتنا الى حيفا ، أخذت يعاد تلاطفني وتقول : سأفاجئك يا عمي مفاجأة . اما ان تكون سارة او ان تكون سيئة فأنت تحكم .

وأخذتني كما يأخذ المعلم تلميذه واسمعتني حكاية لم استطع تصديقها . ولكنها ظلت تحكي ، وتحكي فلا أجد لحكايتها من جواب سوى : مستحيل !

قالت ان أمرها اختلط علي . فيعاد ، التي انتظرتها ، هي والدتها . وقد ماتت .

ـــ وأما أنا ، يا عمي ، فأبنة يعاد التي انتظرتها .

ـــ مستحيل ، مستحيل !

ـــ هل اشبهها كل هذا الشبه يا عماه ؟

ـــ مستحيل ، مستحيل !

وقالت ان والدتها كانت تذكرني دائما بالخير ولذلك سمت ابنها سعيدا باسمي ، وابنتها يعاد باسمها ، « حتى اذا عدت ، يا يعاد ، ستقولين له : لم تغيرنا الغربة » .

ـــ ها نحن التقينا ، يا عماه . فهل تغيرنا ؟

ـــ الصبا هو الصبا ولم يتغير . لكنني أرى ، ويا لمصيبتي ، ان الزمن الذي انتصر شبابك عليه قد انتقم من ذاكرتك . فكيف ينسى الحبيب حبه الاول ، والزهرة الفجر الذي برعمها ؟

ـــ هل كنت تحبها هذا الحب كله يا عماه ؟

ـــ أحبك كما احب الشيخ ان يكون ماضيه حلما فيستيقظ . لقد استيقظت . فكيف أجدك تهذين في المنام ؟

واوغلت في اوهامي كغريق يوغل في مغارة تحت الماء يلوح له ، في طرفها البعيد ، سراب نور .

قلت : حين تدخل بيتي العتيق في شارع الجبل ستستيقظ .